

## قبة الإمام محمد بن قادر ولي بجبل أولياء جنوب الخرطوم (١٩٢١/٥١٣٤٠م)

أ.د/علي أحمد الطايش & د/سوزان محمد عبداللطيف & أ/ زيزي مصطفى إسماعيل شرقي

### الملخص:

انتشرت العقيدة الإسلامية في الجزء الشمالي من السودان في أواسط القرن السابع الميلادي علي أيدي المهاجرين العرب والتجار المسلمين وأخذت تتوغل بأعداد كبيرة داخل السودان في القرن التاسع الميلادي<sup>(١)</sup> وتزايد عدد النفوذ الإسلامي حتي نهاية القرن السابع عشر الميلادي بدأت هجرة القبائل العربية تزداد إلي السودان بعد ظهور الإسلام في الجزيرة العربية وحكم السودان بقواعد الشريعة الإسلامية ملوك سنار والفور والمهدي والتعايشي وعرب السودان وهم غير عرب النوبة<sup>(٢)</sup>.

وبدخول الإسلام للسودان بدأ ظهور التصوف في فترة السلطنة الزرقاء من مصر والحجاز مما أعطاه اتجاهها مختلفا استمر حتي الآن<sup>(٣)</sup>، ثم بدأت الطرق الصوفية في الانتشار حتي ظهرت عمارة خاصة بالصوفية وتعرف "بالعمارة الصوفية" وبالأخص عمارة القباب والأضرحة<sup>(٤)</sup> وتشهد قباب الأولياء وأضرحتهم المنتشرة في شمال السودان وأواسطه حتي يومنا هذا بسيطرة الإيمان بالأولياء وكراماتهم<sup>(٥)</sup>.

وفي هذا البحث تناولت دراسة قبة الامام محمد بن قادر ولي توضح لنا تخطيط القباب في ولاية الخرطوم ولكن مع احتفاظها بسمات فريدة مختلفة عن غيرها من القباب تختلف عن شكل السائد للقباب (شكل ١).

**الكلمات الدالة:** ولاية الخرطوم – الفترات الإسلامية – طراز القباب – الأضرحة – الطرق الصوفية

### مشكلة البحث:

- من المشكلات الكبرى التي واجهتني صعوبة الوصول الي تلك القبة لوقوعها وسط غابة وبالإضافة إلي بعد موقعها
- تكمن مشكلة البحث في قلة وجود مصادر ودراسات مفصلة عن قبة الإمام محمد بن قادر ولي

### أهداف البحث:

- التعرف علي قبة الإمام محمد بن قادر ولي من ناحية تاريخية والمعمارية.
- دراسة أنماط مميزة لقبية الإمام محمد بن قادر ولي.
- كشف عن شكل مميز من القباب علي عكس شكل سائد في ولاية الخرطوم.

### أهمية البحث:

- اكتشاف نموذج من القباب التي تكاد أن تكون مجهولة لدي الكثير.
- معرفة أهم معتقدات المجتمع والأفراد حول الأضرحة.
- التوصل إلي إفادات الرواء المسجلة حول القباب والأضرحة.

### منهجية البحث:

ينعتمد منهجية البحث علي تطبيق المناهج التالية لتحقيق الأهداف الأساسية لهذه رسالة وهي:

- **المنهج الاستقرائي:** الحصول علي معلومات من المصادر التاريخية والمراجع العربية والأجنبية ورسائل العلمية والمعلومات المنشورة المتعلقة بموضوع الدراسة وكذلك جمع الروايات الشفهية .

- **المنهج الوصفي التصنيفي:** وصف دقيق للعناصر الجنائزية في ولاية الخرطوم، يكون وصف شاملا برسومات المساقط.
- **المنهج الاجرائي "الميداني":** زيارة ميدانية للعناصر الجنائزية في ولاية الخرطوم وتم عمل رفع معماري وتصوير كل العناصر المعمارية.

السودان كغيره من كثير من بلاد العالم ذو تاريخ طويل إن لم نقل أطول من غيره وأقدم، كما كان يتبني ذلك ديودوروس "Diodrus" الذي وصف سكان السودان بأنهم أول الخلق علي ظهر الأرض<sup>(١)</sup>، تعد دولة السودان من أكبر الدول العربية والأفريقية من حيث المساحة، وقد ذكر: "إن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين، وأن أرض مصر جزء واحد من ستين جزءا من أرض السودان وأن أرض السودان جزء واحد من الأرض كلها"<sup>(٢)</sup>.

تم تكوين عاصمة للسودان مع مرور الوقت وهي ولاية الخرطوم تتألف من ثلاث مدن كيري هي: أم درمان والخرطوم وخرطوم بحري<sup>(٣)</sup> تمتاز بموقع استراتيجي هام إنها تقع في قلب السودان<sup>(٤)</sup> حيث تقع مدينة الخرطوم علي الضفة اليسري للنيل الأزرق عند التقائه مع النيل الأبيض<sup>(٥)</sup>.

ان نشأة الخرطوم كمدينة كان منذ بداية الفترة الإسلامية أي في فترة الفونج وقد استمر تطورها كمدينة إسلامية في الفترات الحضارية الإسلامية ومنذ ذلك الوقت نشطت الدعوة الإسلامية واهتم الرواد المسلمين ورجال الصالحين بنشر تعاليم الدين الإسلامي وعمرت المساجد وأنشأت المدارس لتعليم القرآن وأصوله لأبناء المسلمين<sup>(٦)</sup>.

تعتبر الثقافات المادية هي الدليل الأثري التي تشكل المصدر الاساسي للمعلومات ودائما تكون الثقافة المادية هي الالية التي يعتمد عليها في الوصول الي الحقيقة والمعارف البشرية من وجود تطور وتقدم عبر الحضارات علي وجه الأرض وانتشرت فكرة بناء القباب<sup>(٧)</sup>، حيث أصبح تقديس القبور والأضرحة من لوازم الطرق الصوفية ومن النادر وجود طريقة صوفية<sup>(٨)</sup> بدون ضريح ولذلك أقيمت علي قبور الشيوخ قباب تنتشر في مختلف الأنحاء<sup>(٩)</sup>.

وتنوعت طرز القباب التي ظهرت بولاية الخرطوم ومن أكثر طرز القباب شيوعا في مملكة الفونج(٩١٠-١٢٣٦هـ) (١٥٠٤-١٨٢١م) ذات الشكل المخروطي وكانت تختلف القباب عن بعضها في الشكل والحجم وقد انهارت بسبب عوامل البيئة من أمطار وحرارة وكانت المباني طينية، وفي ذلك الوقت كان يتوافر الحجر الذي كان يساعد في عملية البناء وخاصة الجزء الأسفل بدلا من الطين<sup>(١٠)</sup>. وظهر طراز آخر للقباب بعد سقوط دولة الفونج وقيام الحكم التركي واخضع إسماعيل باشا الخرطوم سنة(١٢٣٦-١٣٠٣هـ)(١٨٢١-١٨٨٥م)<sup>(١١)</sup> وعرف بقباب الأتراك عبارة عن غرفة مربعة تتحول زواياها الأربعة الي مئمن حتي تقام عليها قبة مخروطية الشكل<sup>(١٢)</sup>.

### قبة الإمام محمد بن قادر ولي بجبل أولياء جنوب الخرطوم(١٣٤٠/١٩٢١م):

**الموقع:**(خريطة رقم ١) جنوب الخرطوم علي بعد ٦٠ كم علي النيل الأبيض بمنطقة جبل أولياء<sup>(١٣)</sup> شمال غرب قرية الشيخ الياقوت وسط غابة ود سلمان مطله علي النيل الأبيض.

**تاريخ الإنشاء:** كما ورد في النص التأسيسي الملصق بالواجهة الجنوبية الشرقية (١٣٤٠/١٩٢١م).

**ترجمة الشيخ:** الشيخ الامام محمد بن قادر ولي بن الحاج الجيلي بن محمد بن بلول بن عبدالرحمن بن عبدالدائم بن الحاج ادريس بن عبدالدائم بن علي بن عون بن عامر بن صبح بن فلاح بن عجم بن زايد بن محمد

المشهور ب(المحسن) بن الملك سعد بن جامع بن أحمد بن عامر بن عبدالكريم بن عبدالله بن يعقوب بن جابر بن سعيد بن أويس بن جابر بن سالم بن عبدالرحمن بن علي بن سليمان بن محمد بن زيد بن عامر بن حارثة بن عبادة بن أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي<sup>(١٩)</sup>.

### الوصف المعماري: (شكل ٢)

عبارة عن تربيعة شطف زوايا مناطق الانتقال مع بعضها فخلقت شكل مئمن يبلغ امتداده ٨.١٤م وتشرف علي أربع واجهات وإرتفاعها ١٨.٢م.

تقع هذه القبّة وسط غابة تحيط بثلاث واجهات منها ماعدا الواجهة الجنوبية الشرقية والواجهة الشمالية الغربية (لوحة ١).

### الواجهة الرئيسية: (الواجهة الجنوبية الشرقية) (لوحة ٢) (شكل ٣)

يبلغ امتدادها ٨.١٤م ومن خلال شطف النواصي تم تكوين شكل مئمن وعند إلتقاء الواجهات أصبح كل شطف بمثابة ضلع لذلك تم تكوين ثماني أضلاع ونجد أن الشطوف في الأركان الأربعة بارزة قليلا عن الواجهة بامتداد ٠.٩٢م، يتوسطها مدخل مرتد عن الواجهة بمقدار ٠.٨م ويحدد الدخلة عقد نصف دائري بارز ويتوجها دخله مستطيلة بها لوح حجري مستطيل محدد من الخارج باطار مكون من ثلاث خطوط بالحفر وأيضا في الأركان الأربعة أشكال مثلثة وقسم هذا الاطار الي منطقتين بأربع خطوط طولية محفورة القسم الأيمن قسم الي ثلاث اقسام كل قسم يتوسطه ثلاثة أسطر بالحفر الغائر بخط نسخ ثلاثة نصها: (لوحة ٤).

-الشيخ الامام

-ميلاده وفاته عمره

١٢٣٥ - ١٣٣٥ ١٠٠

القسم الأيسر تشتمل علي خمسة أسطر بالحفر الغائر بخط النسخ، نصها

-لا اله الا الله

-محمد رسول الله

-بنية هذه القبّة

-سنة يوم ج ثمانية (جمادي الثانية)

١٣٤٠ - ٢٤

ثم يتوسطها فتحة باب (لوحة ٤) مستطيلة من مصرع واحد يبلغ اتساعها ١.٣٥م وارتفاعها

وعلي جانبي توجد فتحات صغير ربما كانت للأضاءة والتهوية ولكنها سدت الآن وينتهي المربع السفلي بإطار حجري بارز يتكون من طيتين حجريتين يبلغ إرتفاعه ٥.٧٩م يبدأ من بعده قطاع القبّة.

يكتنف القبّة من كل جانب جوسق (لوحة ٥) علي هيئة قبة مخروطية مقسمة إلي ثلاث أقسام من خلال إطارين حجريين بارزين يبلغ إرتفاعهم ٢.١٨م وتنتهي بقائم علي هيئة إنتفاخة كرية واحدة وتنتهي بهلال.

ويعلو منطقة التربيعة السفلي خوذة القبة مخروطية الشكل مقسمة إلي أربع أقسام من خلال ثلاث إطارات حجرية بارزة إرتفاعها ١٢.٢٣م في أعلي القبة وتنتهي بقائم معدني كروي (لوحة ٦).

### الواجهة الشمالية الغربية: (لوحة ٧)

يبلغ امتدادها ٨.١٤م ومن خلال شطف النواصي تم تكوين شكل مئمن وعند إلتقاء الواجهات أصبح كل شطف بمثابة ضلع يبلغ إتساعه ٠.٩٢م لذلك تم تكوين ثماني أضلاع ونجد أن الشطوف في الأركان الأربعة بارزة قليلا عن الواجهة يتوسطها فتحة شبك ينتهي المربع السفلي بإطار حجري بارز يتكون من طيتين يبدأ من بعده قطاع القبة.

### الواجهة الجنوبية الغربية:

يبلغ امتدادها ٨.١٤م وتتشابه مع الواجهة الشمالية الغربية.

### الواجهة الشمالية الشرقية:

يبلغ امتدادها ٨.١٤م ومن خلال شطف النواصي تم تكوين شكل مئمن وعند إلتقاء الواجهات أصبح كل شطف بمثابة ضلع يبلغ إتساعه ٠.٩٢م لذلك تم تكوين ثماني أضلاع ونجد أن الشطوف في الأركان الأربعة بارزة قليلا عن الواجهة وهي مصمطة ليس بها أي فتحات ينتهي المربع السفلي بإطار حجري بارز يتكون من طيتين يبدأ من بعده قطاع القبة.

### القبة من الداخل: (لوحة ٨) (شكل ٤)

تؤدي فتحة الباب في الواجهة الجنوبية الشرقية إلي داخل القبة وهي مئمنة المسقط يبلغ قطرها ٦.٥٤م وسمك جدارها ٠.٨م، بنيت القبة من طوب وفرشت أرضيته برمال يتوسطها تركيبة خشبية مقسمة الي أربعة مستويات رأسية المستوي السفلي والثالث شغل بحشوات عرضية بينما المستوي الثاني والرابع زخرف ببرامق خشبية كما تضمنت الأركان الأربعة أربع برامق خشبية<sup>(١٠)</sup> كبيرة الحجم بوضع واحدة في كل ركن وترتكز التركيبية علي قاعدة حجرية إرتفاعها ٠.٤٠م وجاء هذا المزيج من العناصر الفنية مرتبا بتناسق وتناسب هندسي تام يوجي إلي النظام الإسلامي<sup>(١١)</sup>، وجوارها تركيبة آخري تحيط بها مقصورة حديدية مقسم الي مستويين رأسيين المستوي السفلي شغل بفتحات بينما المستوي الثاني زخرف بحشوات عرضية بين كل منهما برامق حديدية ترتكز التركيبية علي قاعدة حجرية إرتفاعها ٠.٥٢م، وبين تركيبتين نجد حفر عميقة يحيط بها اطار حجري (لوحة ٩).

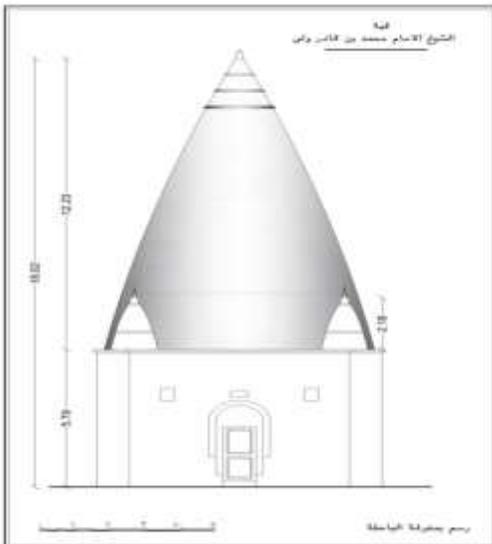
يتوسط ضلعها الشمالي الغربي فتحة شبك مستطيل (لوحة ١٠) يطل علي الغابة من الخارج ويتوسط ضلعها الجنوبي الغربي فتحة شبك مستطيله تشرف علي الخارج، وبينما يتوسط ضلعها الشمالي الشرقي إطار حجري بارز علي شكل مستطيل (لوحة ١١).

وفي الاركان الاربعة تم إستغلال الشطوف وفي كل ركن الاركان نجد دخله معقودة بعقد منكسر وساعد ذلك علي تكوين شكل مئمن للقبة وتقام عليها قطاع القبة المخروطية يبلغ إرتفاعها ١٢.٢٣م (لوحة ١٢).

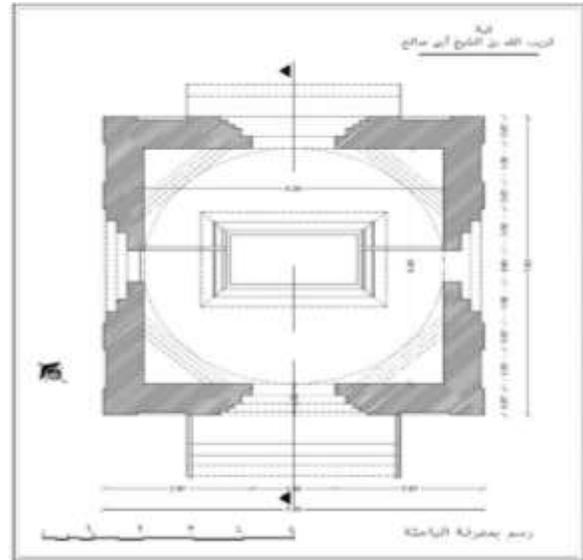
الخرائط والأشكال واللوحات

خريطة رقم (١) توضح موقع قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر

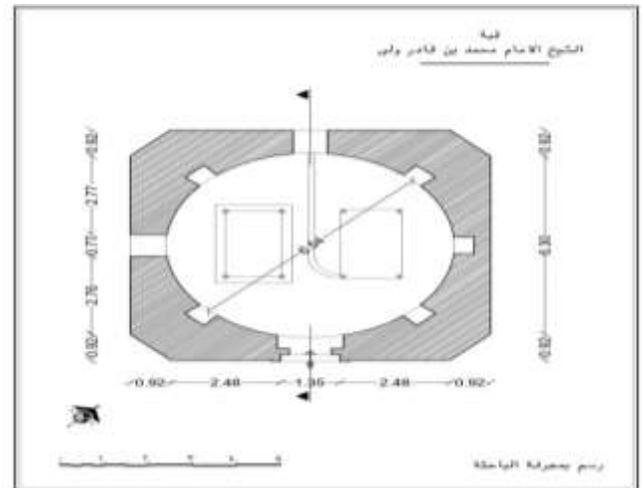
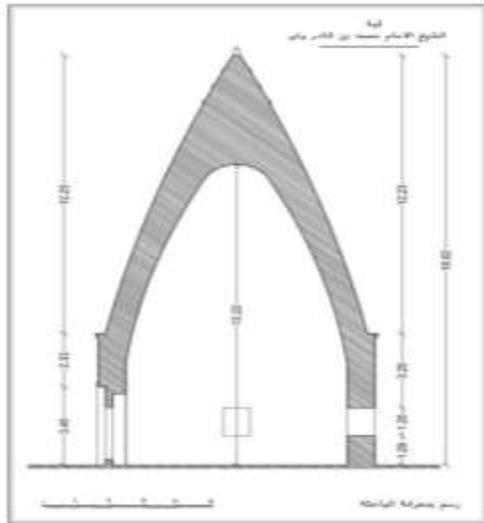
[https://maps.app.goo.gl/jzSR8L8HZJV2hg3EA?g\\_st=ic](https://maps.app.goo.gl/jzSR8L8HZJV2hg3EA?g_st=ic)



شكل (٢) مسقط أفقي لقبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي



شكل (١) لقبة الشيخ قريب الله مسقط أفقي رسم بمعرفة الباحثة (رسم بمعرفة الباحثة)



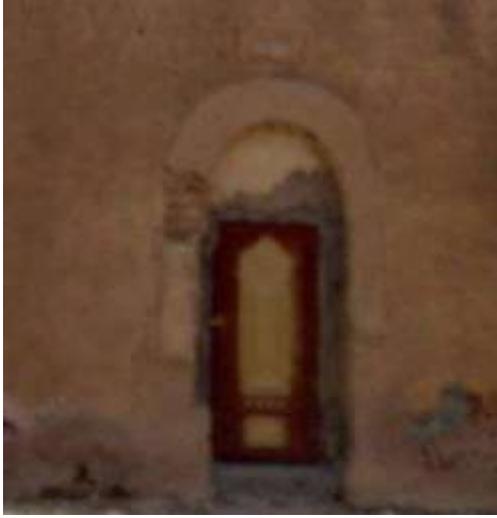
شكل (٤) قطاع رأسي لقبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي  
(رسم بمعرفة الباحثة)

شكل (٣) مسقط للواجهة الجنوبية الشرقية لقبة الشيخ الإمام  
محمد بن قادر ولي (رسم بمعرفة الباحثة)

لوحة (١) قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي، موقع القبة لشيخ الإمام ود قادر بحي جبل أولياء جنوب الخرطوم ١٣٤٠/٥/١٩٢١م (تصوير الباحثة)



لوحة (٢) قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي، الواجهة الجنوبية الشرقية (تصوير الباحثة)



لوحة (٣)

مدخل قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي

(تصوير الباحثة)

لوحة (٤) قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي، نص كتابي  
(تصوير الباحثة)



لوحة (٥) قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي، الجواسيق (تصوير  
الباحثة)



لوحة (٦) قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي، قطاع القبة (تصوير الباحثة)



لوحة (٨) قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي  
القبة من الداخل (تصوير الباحثة)



لوحة (٧) قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي، الواجهة  
الشمالية الغربية – تصوير الباحثة



لوحة (١٠) قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر  
ولي، فتحة الشباك في الواجهة الجنوبية الغربية  
(تصوير الباحثة)



لوحة (٩) قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي، المقصورة الحديدية  
(تصوير الباحثة)



لوحة (١٢) قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي ،  
دخلة معقودة بعقد منكسر (تصوير الباحثة)



لوحة (١١) قبة الشيخ الإمام محمد بن قادر ولي، اطار  
حجري يتوسط ضلعها الشمالي الشرقي (تصوير الباحثة)

## نتائج البحث

- وضح البحث أن قبة الامام محمد بن قادر ولي لها قيم دينية لأنها مرقد رجل دين عمل علي نشر الإسلام في السودان وهي صلة بين العبد وربه لذلك يلجا اليها الناس للبركة والمساعدة لذلك نجد ان هذه القبة لها مكانة سامية في منطقة جبل أولياء.
- تتميز تلك القبة بسمات مميزة عن غيرها من القباب المنتشرة بولاية الخرطوم حيث شطفت النواصي تم تكوين شكل مئمن، واشتركت تلك القبة مع باقي القباب في التخطيط العام حيث تتكون من تربع سفلي ومنطقة انتقال ثم خوذة القبة.
- أول من قمت بدراسة وصفية معمارية لقبة الامام محمد بن قادر ولي، بسبب صعوبة الوصول الي تلك القبة لوقوعها في وسط غابة ود سلمان

## حواشي البحث

- <sup>١</sup> رشا الهادي عباس: مسيد ود الفادني (من واقع الآثار الإسلامية في السودان)، بحث تكميلي لنيل درجة الشرف، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، ٢٠٠١م، ص ٢٥.
- <sup>٢</sup> طارق أحمد عثمان، عبد الوهاب الطيب البشير: مدخل لدراسة المسيحية في إفريقيا، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، ١٤٢٣-١٤٢٤م/٢٠٠٣م، ص ٢٧.
- <sup>٣</sup> ج. سينسر تريمجهام: الإسلام في السودان، تر: فؤاد محمد عكود، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠١م، ص ١٩٠.
- <sup>٤</sup> ج. سينسر تريمجهام: الإسلام في السودان، ص ١٩٠.
- <sup>٥</sup> عبد الجليل عبدالله: الترايب والصوفية في السودان إختلاف منهجين، جامعة الجزيرة، ص ٢٧٩-٢٨٣.
- <sup>٦</sup> حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله: السودان: مفهومه، حدوده، وأسمائه، وعواصمه، ولغاته، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٣٦.
- <sup>٧</sup> أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفي سنة ٣٤٦): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ج ١، ط ٥، ١٣٩٣م/١٩٧٣م، ص ١٦٤.
- <sup>٨</sup> يحيى الشامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي ببيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ص ١٧٣.
- <sup>٩</sup> سعاد عثمان بابكر، د. أحمد حسين عبدالرحمن: راهن ومستقبل الآثار الإسلامية في ولاية الخرطوم، دراسات في آثار الوطن العربي، ص ١٣٣.
- <sup>١٠</sup> مكي شبكية: السودان عبر القرون، دار الجبل، بيروت، ١٤١١-١٩٩١م، ص ٥.
- <sup>١١</sup> يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠-١٨٢١، سوداتك المحدودة، ط ٢، الخرطوم، ٢٠٢٣م، ص ١٣٨.
- <sup>١٢</sup> أز هري مصطفى صادق: مسارات التطور الثقافي في السودان في عصور ما قبل التاريخ (٢) أفاق العصر الحجري الوسيط الثقافية وصناعاته، مجلة كلية آداب جامعة الخرطوم، العدد ٤٦٦، ٢٠٢٢م، ص ٦٠.
- <sup>١٣</sup> واختص المقلون علي العبادة باسم الصوفية والمتصوفة حتي صار علم التصوف في الملة علم مدونا بعد ان كانت طريقة عبادة فقط وكانت أحكامها أما تتاقي من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه وغير ذلك ثم أن الخلوة والذكر يتبعها كشف حجاب الحس والإطلاع علي العوالم أخري.
- <sup>١٤</sup> بن خلدون (عبدالرحمن بن محمد): مقدمة بن خلدون، دار كتب المصرية، الكاتب: رضوان إبراهيم، مراجعة: أحمد زكي، القاهرة، ٢٠١٩م، ص ٢٥٣.
- <sup>١٥</sup> رانيه طير : القباب والأضرحة في مدينة الوادي وتأثيرها علي ثقافة المجتمع خلال الفترة الاستعمارية، مذكرة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهي-الوادي، ٢٠١٧م، ص ٥١.
- <sup>١٦</sup> أز هري مصطفى صادق: مسارات التطور الثقافي في السودان في عصور ما قبل التاريخ (٢) أفاق العصر الحجري الوسيط الثقافية وصناعاته، ص ٦٠.
- <sup>١٧</sup> مكي شبكية: مختصر تاريخ السودان الحديث، ص ٢٥.
- <sup>١٨</sup> صلاح عمر الصادق: أوضاع الآثار الإسلامية في السودان، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠٠٦م، مجلة دليل ولاية الخرطوم السياحي، وزارة الشؤون الاجتماعية ولثقافية الإدارة العامة للسياحة، ولاية الخرطوم، ٢٠٠٣م، ص ١١.
- <sup>١٩</sup> قبيلة يمنية بالمدينة المنورة فرع من الأنصار أخوان الاوس تنتسب اليهم قبائل ومجموعات كثيرة من السودان منهم المحس الذين ينتسبون الي ابي بن كعب الأنصاري، يطلقون علي أنفسهم لقب لقب الخزرجي.
- <sup>٢٠</sup> البرامق عبارة عن عامود مخروط لا يمكن تحديد طوله أو أبعاده أذ يختلف حجمه من الغرض المصنوع له وتوجد أنواع مختلفة من البرامق منها المربعة أو المثلثة الشكل.
- <sup>٢١</sup> شادية الدسوقي عبدالعزيز: الأخشاب في العمائر الدينية بالقاهرة العثمانية، مكتبة زهراء الشرق، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٢٩٦.
- <sup>٢٢</sup> زوليخة تروشين: المواضيع الفنية علي التوابيت الخشبية في الأضرحة الإسلامية بالجزائر تابوت ضريح سيدي براهيم الغبريني بمدينة شرشال أنموذجا، مجلة الدراسات الأثرية، مجلد ١٦، العدد ١، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ٢٠١٨م، ص ١٦٤.